[رسـائل نـادرة]

من تراث الزيدية

منـاظرة الأتـراب في فضل أبـي تراب

"سلام الله عليه وعلى آله"

للقاضي العلامة الشهيد إسمـاعيل بـن حـسين

جغمان اليمني الخولانـي الصنعـانـي

(١٢١٢ - ١٢٥٦هـ)

تقديم

محمد سعيد الطريحي

(KUFA ACADEMY)

المقدمة

تفضل الأخ الأستاذ زيد الوزير[1] بإهدائي بعض المصورات التي إلتقطها من اليمن الزيدية ، ومن بينها هذا الأثر الذي نقلته من خط ناظمه العلامة الشيخ إسماعيل جغمان (من أعلام القرن الثالث عشر) .

وفي أول هذا الأثر يلوح بشكل بارز العنوان وفوقه مباشرة ختم مربع كتب عليه (إسمعيل بن حسين جغمان) وعلى يساره تملك آخر وورد على الغلاف أيضا كتابات تذكارية منها هذان البيتان (لكاتبه إسماعيل جغمان - المؤلف -) :

ملئ الأفق جمالا إذ شرى البرق ولا لا
قال لي حبي أيحكي البرق ثغري قلت لا لا

وجاء أيضا (من الأبيات المشهورة المتداولة) :

إذا كان رطل واحد بثلاثة وخمسة أرطال وثلث بدرهم
فإن كنت في علم الحساب محققا فخذلي من المجموع رطلا بدرهم

وفيه :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقد يفوت على قوم حوائجهم مع التأني وكان الرأي لو عجلوا
لا ذا ولا ذاك في الإفراط أحمده وأحمد الأمر يأتي وهو معتدل

ورأيت أن أفتتح المنظوم بترجمة وجدتها في (نيل الوطر) (١/٢٧٠ - ٢٧٣) فيها من سيرة المؤلف ونظمه ما يفي بالغرض وها أنا أسردها بتمامها إحياءا لذكراه الطيبة والله الموفق ومنه نستمد القوة والعزم .

محمد سعيد الطريحي

---

(١) مؤسس مركز الدراسات والبحوث اليمنية في إنكلترا ، راجع التحقيق الذي نشرته مجلة الموسم عن هذه المؤسسة (الموسم ، العدد ١٩ (سنة ١٩٩٤) ص ٣٩٠ - ٣٩٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين نحمد الله على ما انعم ونصلي على نبيه الأكرم وعلى عترته علوم الطلم صلى الله عليهم كل أوان وسلم اما بعد فانه وصل لغز من بعض النابه الى بعض الفقراء لقطر ضياء الدين هل يدرج لغز

فلا لا لقد أصبحت المبينا
فحله لنا ذا المجد والدهن
حقا يا امام العارفين
وذا واسم خماسي لشيء
منتهاه مضى في الغابرين
مسقلب فلبه والعلب ادغم
به قلب [illegible]
ولكن ليس معي بعد ذكر
لا ولم وتا لله نقسما

فلما اطلع ذلك الفقيه على قدس اللغز ورقما ما فيه من الغموض ان يدرج في ذهنه فلم يجد منه مخرجا ورأى ان اولى مطلوب من قاصد بفكك لغوطم يعمل الى تفكيك المعنى ثانيا فاجاب على قاصده بهذا نحو ابه

هيا علم الانام ومن أتانا
سقيم كله درر ثمينا
بحثت بدفعكا الوهن لكن
به لبعض امام الناظمينا
فكك لغطر حتى نوالي
احل المشكلات به يقينا
فاني بابع في أهل دهري
واستاذ لكل العالمينا
واني لا اجاري في نظامي
ولست شبيه للناظمينا
واني في التشيع صهر انا
اغنى به جميع النواصبا
واني كاتب سر بديع
هام حقن قد وطينا
واني قد رقيت الى المعالي
وصرت امام كل المتقين
وصل على النبي والاطهر
فاتم نعتهم ثم الصحبينا

فلما وصل جواب المذكور وصادف وصوله في مجمع جماعة من الفقهاء فعرضوه عليهم فلما اكمل ذهب الى داره ثم رجع بعد ساعة طويلة من اليوم بهذا الجواب يريد به الرد على الشعر المذكور فيما صنع

ضياء الدين هل فكك قولا
نقار الدر منه اذا أبينا
كان فصوله لما استبانت
جواهر في مراشف حورعينا
وعلى من بالعصر في معالي
وقد فاخرت كل الغازينا
انا رب الرشا يا ذا الغزالي
ترى قولي كالضة اللجينا
انا بحر العلوم ومن يوصل
بطا ولي قعود ر النسينا
انا كمي الشجاعة مرقومي
ومن اشبه الشرى ان قيل فينا
اذا ما جان للاعداء وقت
دلى اسوء امر الموسدينا
ولم ار سبق قومنا اقتباطا
أتت به قلوب الرافضينا
خلقنا للانام هدى وأمنا
لانا قدوه للعالمينا
وان رقت البوانو في آلق
لنا خان الوداعقا تليدا
لان الله فضلنا على الخلق
طرا واصطفانا اذ ابينا
فآل المؤمنين وأفضل الخلق
طرا جدنا والرسل فينا
وفاطمة البتول سيدة الورا
هي امنا اذا استبينا

وصلى الله على من لا نبي بعده محمد واله الطيبين الطاهرين

وإليك نص هدى الجواب إلى الفقيه المذكور أولاً علم من حال هدى المشروف الأرجاء والأنواء مآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سطح تجيء وعرف منه الدليل منك هدى وغدم سلوك طريق الحق ورجوابه قد حوى اللحن وعيوب الشعر ما حوى فأجاب عن هدى الجواب الذي تلوا وهو هذا شعرا

اما علم الهدى يا من ترقا ... الى العليا وصار لها خدينا
انا نمنك قولا فيه صدق ... وفيه الاغتباط أراه بينا
وفيه الحق جاء بل وفيه ... عيوب الشعر حاشى لي لدينا
فمن ملك الوغا فاراه حقا ... والغا من غث حيثا ثمينا
وما الاكفاء الا مثل فيه ... وسل فلأت بلقاه يقينا
ولن تزكم لم يكن عذري لغز ... املقيتن بهدى مستبينا
وبعد الوثن تختر ذا قضاء ... لسطر شعرنا والحكم فينا
وسطر من تسير طريق صدق ... ومن يسلك طريق الناهجينا
وقد أقررت من قلب جريح ... وتدعي الصلاح لخاصبينا
وقد صيرت نفسك أو طمة ... وتجري حد كالبر الأمينا
وترضى للبتول شر فعل ... واخذ تراثها في الظالمينا
وتزعم أنهم لن يغضبوها ... وقد ماتت مهشمة جبينا
وأدمت أنهم لا يحضروها ... اما ترضى تصير لها جرينا
رضيت بظلمهم فيها رضاء ... وقلدهم هم في الاولين
فاحكم فيك أحمد ذو الفعوق ... اذا لم يجعل التغيب دينا
اذن بدا أنا وأقوالوا ... ولا أرضى مقال الخاضبينا
فان تو بالجنان أبيت يحوي ... ويحكم حكمي الحق المبينا
وصل السبي والارطوة ... منح التسليم عند الشرطينا
كذاك الموتضى في كل حال ... امتنا دخل الملحدينا
واسع بعدهم أركى صلاة ... تحق الصحب اعني الطيبينا
فانهم اثنا دوا دين طه ... واسسوا وشيدوه فينا
وما لو يحسبهم بعدي ... وفي عهدي وفي كل الشينا
وقالوا الانبياء غير هذا ... أليس المصطفى اوصى الينا

وثاروا يحوتهم ناصروه ... واصدقوا المقال فما غلينا
أليس الحق يدخلنا جنانا ... وان قال المشيح ما اضينا
ونأخذ للحوار بعد جواب ... ويدعونا امير المومنينا
أفتح طلعتي سعدا المحيا ... لادرجوا النفر نا فيضا

مال ذهب
نور شمامصنع

ترجمة المؤلف

القاضي العلامة الشهير إسماعيل بن حسين بن حسن بن هادي بن صلاح بن يحى بن صلاح اليمني الخولاني الصنعاني . مولده بمدينة صنعاء في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢١٢ وأخذ عن القاضي العلامة محمد بن أحمد بن سعد السودي الصنعاني في شرح الأزهار وعن الإمام الشهيد أحمد بن علي السراجي في الفرائض والفروع وعن القاضي العلامة عبد الرحمن بن عبد الله المجاهد في الفروع وعن السيد العلامة أحمد بن يوسف بن الحسين بن أحمد زبارة والقاضي العلامة علي بن عبد الله الحيمي في النحو والحديث والتفسير واسمع على الحيمي شفاء الأمير الحسين ابن محمد وأجازه إجازة عامة وأخذ عن الشيخ العلامة الشهيد محمد بن صالح بن هادي السماوي مؤلفه الغطمطم الزخار إلى باب الوضوء وغيره وأخذ عن السيد العلامة أحمد بن زيد بن عبد الله الكبسي وعن السيد الإمام إسماعيل بن أحمد الكبسي وغيرهم وحقق الصرف والنحو والمعاني والبيان والتفسير وتبحر في الفقه والفرائض وكان قرأ بجامع الروضة بعد صلاة العشاء الأخيرة في شرح الأزهار وكان كما قال تلميذه السيد العلامة الحافظ عبد الكريم بن عبد الله أبو طالب رحمه الله يملي عليهم الدرس في شرح الأزهار بخلافاته وما عليه من الحواشي ونحوها غيباً بدون تلعثم ودرس بجامع صنعاء في فنون من العلم وممن أخذ عنه الإمام المنصور بالله محمد بن عبد الله الوزير والسيد العلامة المؤرخ محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي ولما قتل الشيخ محمد بن صالح السماوي في سنة ١٢٤١ إنتقل المترجم له إلى محل أسلافه بخولان واستقر هنالك مدة ثم عاد وسكن الروضة نحو تسع سنين . ولما كان في ذي القعدة سنة ١٢٥٢ قيام الإمام الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد بن المهدي العباس رحمه الله استدعى صاحب الترجمة إلى صنعاء وولاه القضاء بها ولم يزل فيها حتى استشهد مع الإمام الناصر . وللمترجم له مؤلفات منها الصوارم المنتضاة في جوهر من المناقب المرتضاة جعله شرحا لأبيات سيف بن موسى الصحاري واختصر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني المشتمل على ذكر فضائل علي عليه السلام وما نزل فيه من القرآن . والمسجد المذاب في

منهج العترة في الأصحاب . ويسمى إرشاد الجهول إلى عقيدة الآل في صحب الرسول . له كتاب العقد الذي انتضد ، بذكر من قام من العترة النبوية لا من قعد. وبلوغ الوطر . وإلا نموذج في أعمال الحج . ومنسك صغير آخر في أعمال الحج . وله ديوان شعر ومن شعره هذه القصيدة :

لك الحمد كل الحمد يا من لك الحمد ... لك الحمد ما هب النسيم لك الحمد
لك الحمد كم أنقذتنا من مصيبة ... وجنبتنا من مهلك فلك الحمد
لك الحمد كم أوليتنا من كرامة ... لك الحمد كم عافيت جسما لك
لك الحمد كم من نعمة قد أدمتها ... علينا فلم نشكر لها فلك الحمد
لك الحمد يا منان في كل حالة ... بكل لسان لا يزال لك الحمد
لك الحمد عدّ القطر والرمل والحصى ... وأضعافها رب البرايا لك الحمد
لك الحمد إذ خصيتنا ورفعتنا ... بأحمد خير الخلق طراً لك الحمد
لك الحمد دين الحق أبداه للملا ... وبلغ بالمأمور منك لك الحمد
لك الحمد إذ أيدته وعضدته ... بحيدرة الكرار يا من لك الحمد
لك الحمد إذ صيرته ناصراً له ... وزوجته خير النساء لك الحمد
لك الحمد إذ صيرت حيدرة لنا ... ولياً بنص في الكتاب لك الحمد
لك الحمد صلّى قبل صلوا جميعهم ... إلى قبلتي خير العباد لك الحمد
لك الحمد كم في يوم عمرو روت له ... رواة بتعظيم الثواب لك الحمد
لك الحمد كان الفتح في خيبر له ... وقد أدبر الشيخان عنها لك الحمد
لك الحمد في بدر غدا فارس الوغى ... ويوم حنين كم أباد لك الحمد
لك الحمد في يوم الغدير بدت لنا ... شموس أضاء الكون منها لك الحمد
لك الحمد كم جاءت له من فضائل ... كمثل الحصى والرمل عداً لك
لك الحمد من حزب الوصي جعلتني ... ومن تابعي آل الرسول لك الحمد
لك الحمد إذ دليتني وهديتني ... إلى مذهب الآل الشريف لك الحمد
لك الحمد إذ جنبتني وحميتني ... عن الميل عن آل النبي لك الحمد
لك الحمد لم أختر سواهم ولم أقل ... بغير مقال جاء عنهم لك الحمد
لك الحمد إذ صيرتهم مأمن الورى ... وسفن نجاة للعباد لك الحمد

لـك الحمـد كـم نزهتـهم عـن مدنـس واذهبـت كـل الرجـس عنهم لـك
لـك الحمـد هـذي يـا الهـي وسـيلتي أريـد بـها غفـران ذنبي لـك الحمـد
لـك الحمـد فـاختم لي بخـير وعـافني بعافية الدارين يـا مـن لـك الحمـد
لـك الحمـد وأقسـم لي مـن العلـم وافـراً أفـوز بـه يـوم الحسـاب لـك الحمـد
لـك الحمـد جنبنـا عـن الشـرّ واكفـني وأهلي بفضل منك يا من لك الحمـد
لـك الحمـد واجزِ والـدي منـك بالرضـا وأمـي بـه فـامنن عليـها لـك الحمـد
لـك الحمـد والإخـوان مـن أهـل منـهجي وأشياخنا في الدين يا من لك الحمـد
لـك الحمـد واختـم بـالصلاة مسـلماً على أحمد والآل يـا مـن لـك الحمـد

وكان استشهاد المترجم له رحمه الله في وادي ضهر من أعمال صنعاء مع الإمام الناصر نهار يوم الإثنين تاسع ربيع الأول سنة ١٢٥٦ عن ثلاث وأربعين سنة وأشهر من مولده رحمه الله .

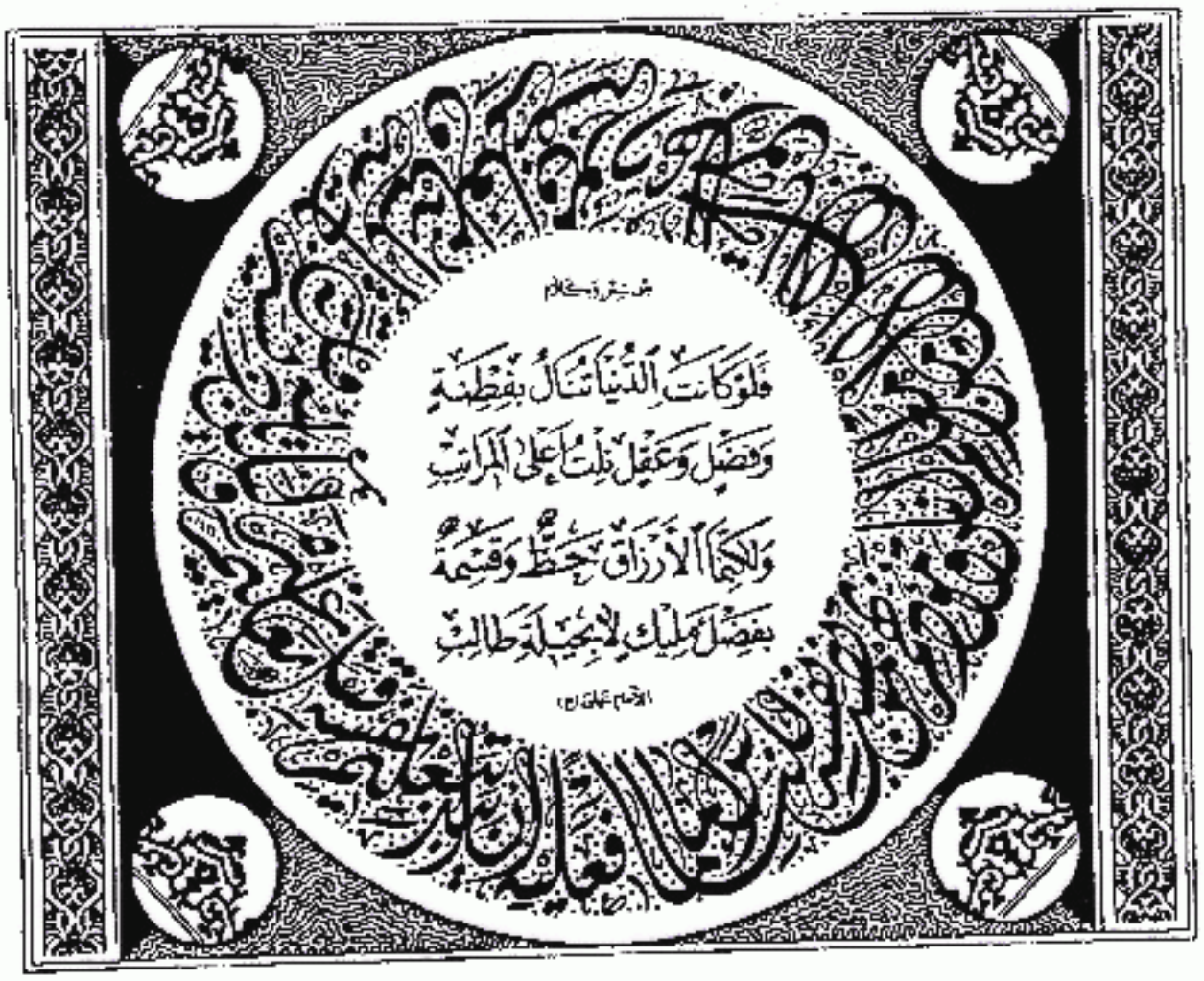

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على ما أنعم ، ونصلي على سيد الأكرم ، وعلى عترته نجوم الظلم ، صلى الله عليهم كل أوان وسلم .

أما بعد : فإنّه وصل لغز من بعض السادة إلى بعض الفقهاء لفظه :

ضيـاء الديـن هـاك بديـع لفـظ فللألغـاز أصبحـت المبينـا
فحلـه لنـا يـا ذا المجـد والذهـن حقـاً يـا إمـام العارفينـا (كـذا)
وهـو اسـم خماسـيّ لشـيء مسماه مضى في الغابرينا (كـذا)
سـيقلب قلبـه والقلـب أيضـاً بـه قلـبٌ وذا قـولي قمينـا
ولكـن ليـس يبقـى بعـد حـذفٍ لأوّلـه وثالثـه يقينـا

فلما إطلع ذلك الفقيه على هذا اللغز ورأى ما فيه من العيوب ، إزدحم في ذهنه فلم يجد منه شيئاً ، ورأى أن أول ما يطلب من قائله تفكيك لفظه ثم يعدل إلى تفكيك المعنى ثانياً ، فأجاب على قائله بهذا الجواب :

هيـا علـم الأنـام ومـن أتانـا ينظـم كلـه درأ ثمينـا
رأيـت بديعـة كـالروض لكـن بـه لغـض إمسام الناظمينـا
ففكـك لفظـه حتـى تراني أحـلّ المشـكلات بـه يقينـا
فـإنّي بـارع في أهـل دهـري وأسـتاذ لكـل العالمينـا
وإنـي لا أجـارى في نظـامي وليـس بمشـبهٍ للأبلدينـا
وإنـي في التشـيع صـرتُ رأسـاً أغيـض بـه جميـع الناصبينـا
وإنـي كـاتب حـرٌّ بليـغ همـام متقـن فـذ فطينـا
وإنـي قـد رقيـت إلى المعـالي وصـرتُ إمـام كـل الأكرمينـا
وصـل علـى النـبي والآل طراً وسـلم مختشـيهم أجمعينـا

ثم أرسل بهذا الجواب إلى المذكور وصادف وصوله في حضرة جماعة من الفقهاء فقرأه عليهم فلما أكمل ، ذهب إلى داره ثم رجع بعد شطر مضى من اليوم بهذا الجواب يريد به الرد على الفقيه المذكور فيما صنع :

ضيـاء الديـن هـل فككـت قـولاً يغـار الـدر منـه إذا أبينـا

كـــأن فصولـــه لمـــا اســـتبانت جواهـــر في مراشـــق حـــور عينـــا
ومثلـــي مـــن يغلـــض في مقـــال وقـــد فـــاخرت كـــل العارفينـــا
أنـــا ربّ الرســـائل والقـــوافي تـــرى قـــولي كخالصـــة اللجينـــا
أنـــا بحـــر العلـــوم ومـــن يؤمـــلْ مطـــاولتي فقـــد وتـــر الســـنينا
أنـــا كمـــيُ الشـــجاعة ذمـــر قومـــي ومـــن أســـد الســـرى أن قيـــل قينـــا
إذا مـــا جـــان للأعـــداء وقـــت فلـــي أســـوة أمـــير المؤمنينـــا
ولم ارســـبّ قـــومٍ اعتباطـــاً أفـــتُ بـــه قلـــوب الرافضينـــا
خلقنـــا للأنـــام هـــدىً وأمنـــاً لأنـــا قـــدوة للعالمينـــا
وإن البواتـــر في أكـــفٍّ لنـــا حـــان الـــردى بمقاتلينـــا
لأنّ الله فضلنـــا علـــى الخلـــق طـــراً فاصطفـــاه إذ أبينـــا
أمـــير المؤمنـــين وأفضـــل الخلـــق طـــراً جدنـــا ورســـل فينـــا
وفاطمـــة البتـــول وبيـــت خـــير الـــورى هـــي أمّنـــا ذا مســـتبينا
وصلّـــى الله مـــا هـــزّ العـــوالي فتـــىً منـــا وأفنـــى الملحدينـــا
علـــى المختـــار ثـــم الآل طـــراً نجـــوم الأرض مـــا شـــفق أُبينـــا

فلما وصل هذا الجواب إلى الفقيه المذكور أولاً ، علم حسن حال هذا الشريف الإدعاء والإبراق بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كي يقطع حجته وعرف منه التطهر بمثل هدى وعدم سلوك طريق الحق ولأن جوابه حوى من اللحن وعيوب الشعر ما حوى فأجاب عنه بهذا الجواب الذي ترى وهو هذا:

أيـا علـم الهـدى يـا مـن ترقـا إلى العليـا وصـار لهـا خدينـا
أتـاني منـك قـول فيـه صـدقٌ وفيـه الإغتبـاط أراه مينـا
وفيـه اللحـن حقـاً بـل وفيـه عيـوب الشعر هـا هـي لدينـا
فمـن تلـك الزحـاف أراه حقـاً وألفـاظ عفـت حينـاً فحينـا
ومـا الإكفـاء إلا حـلّ فيـه وسـلْ فلأنـت تلقـاه يقينـا
ولغـزك لم يكـن عنـدي بلغـز أبلقيـس بـهذي تشـهدينا
وبعـد الآن نخبـر ذا قضـاء يشـطّر شـعرنا والحكـم فينـا
وينظـر مـن يسـير طريـق صـدق ومـن يَسـلُك طريـق الناصبينـا

وقد أقررت من قلب جريح وتدَّعيَ الصلاح لغاصبينا
وقد صيرت نفسك ابن طه وتجحد جدك البرّ الأمينا
وترضى للبتول بشرّ فعل وأخذ تراثها في العالمينا
وتزعم أنهم لن يغصبوها وقد ماتت مهتكةً حزينا
وأوصت أنهم لا يحضروها أما ترضى تصير لها حزينا
رضيت بفعلهم فيها رضاءاً وقلدهم في الأولينا
فاحكم فيك أنك ذو عقوق إذا لم تجعل التمقيت دينا
أدين به أنا وأقول قولاً ولا أخشى مقال الناصبينا
فإن ترد الجنان أتيت نحوي ويحكم حكمي الحق المبينا
وصلِ على النبي والآل طراً مع التسليم عد الترب طينا
كذاك المرتضى في كل حالٍ أئمتنا وخير الملحدينا
واتبع بعدهم أزكى صلاتٍ تخصّ الصحب أعني الطيبينا
فإنهم أشادوا دين طه واتبعوا وصيته دفينا
وما لو نحو سيدهم ببدرٍ وفي أحدٍ وفي كل السنينا
وقالوا لا نُبايع غير هذا أليس المصطفى أوصى إلينا ؟
وساروا نحو تيم ناظروه وإن صدقوا المقال فما علينا !
أليس الحق يُدخلنا جناناً وإن قال المشايخ مارضينا
ونأخذ للحواز غداً جوازاً ويدعونا أمير المؤمنينا
سوى الباري وخير الرسل طه وأنت إمامنا المنصوص فينا
فخذ بيدي وقل يا رب هذا ضعيفٌ كان مذهبه اليقينا
وكان يحبنا يا رب حباً وكان لمن يُعادينا مشينا
فأحلله الجنان وجُد بعفوٍ عليه فإنه من مصبحينا
فيدخلني الإله جنان عدن أفوز بها بغيض الجاحدينا
إلهي صل ما هملت سحابٌ على طه وآل طاهرينا

* * *